﴿ السيد الادريسي والحكومة العثمانية ﴾

لصاحب الامضاء

ولد السيد محمد الادريسي في بلدة (صبيّة) من أعمال العسير واسم والده السيد علي وجده السيد محمد وجد والده السيد أحمد الادريسي (رحمهم الله) وهذا هو الذي هاجر من المغرب منذ سبعين سنة تقريباً الى جهات العسير

اشتهر والد السيد الادريسي وأجداده وجميع أفراد عشيرته بالصلاح والتقوى والعفة والاستقامة وخدمة الدين الحنيف والشريعة الغراء فأصبحت هذه العشيرة الكريمة موضع اجلال اليمانيين واحترامهم واتفقت كلمة الناس على حب رجالها وسماع نصائحهم والرجوع اليهم في كثير من الشؤون المهمة ، وهذا من أهم الاسباب التي مهدت للسيد محمد سبيل الظهور في هذا المظهر ، مظهر السيادة والامارة

حفظ السيد محمد القرآن وأخذ بعض العلوم والفنون على أساتذة يمانيين في (صبية) وكان والده رحمه الله يمنعه من الاختلاط بالناس . ويقال ان السيد الادريسي لم يخالط الناس الا بعد ان جاوزت سنه العشرين

ذهب السيد محمد الى الازهر في مصر وهو في سن الخامسة والعشرين فدرس فيه بقية العلوم والفنون مدة ٧ ـ ٨ سنوات ثم غادر مصر الى السودان فلبث هنالك سنة وأشهرا ومنها عاد الى جهات العسير حيث يقيم الآن . وهو اليوم في سن التاسعة والثلاثين ، قوي البنية ، طويل القامة ، صحيح الجسم ، أسمر اللون ، وعلائم الدهاء والذكاء والفطانة والرزانة بادية على وجهه .

لا يخاطب السيد الادريسي اليمانيين ـ في خطاباته ـ الا بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، ولم يستعملوا اليه ويمتلك قلوبهم ويتسلط على عقولهم الا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وخدمة الدين والشريعة بالفعل ، ومنع التزو وابطاله ، وإزالة الشقاق والاختلافات القديمة من بين القبائل والعشائر ، واحقاق الحق وتطبيق العدالة والمساواة بين الكبير والصغير والرفيع والوضيع من الاهلين

نعم ان السيد الادريسي لم يستعمل اليمانيين ـ كما زعم بعض الكاذبين المنافقين ـ باستعمال الفوسفور والكهرباء وغير ذلك من الاختراعات العصرية الجديدة التي لم ترها عربان اليمن بعد فخضد اقناعهم بولايته أو نبوته بل استمالهم اليه بالحجة والبرهان والمبادئ القويمة الصحيحة . ولم نسمع ونحن من صميم اليمن ان السيد الادريسي

ادعى هذه الدعوى أي الولاية وما أشبه

اليمانيون يحبون السيد الادريسي حبا كالعبادة، وينقادون له انقياداً أعمى ويطيعونه طاعة زائدة ، وينفذون أوامره بكل ارتياح ، والسيد منهم من يتشرف بمقابلته ويتبارك بتقبيل يده وركبته . كل ذلك ناشئ من شدة تمسكه بقواعد العدل والمساواة وتطبيقها بين جميع الطبقات ، وعدم تميزه زيداً الشريف (مثلا) على عمرو الضعيف بحال من الاحوال . واعتباره الجميع واحداً في القضاء والمعاملات

قبل أن يعود السيد الادريسي من مصر الى العسير كانت الفوضى في هذه الانحاء منتشرة والامن مفقوداً، والراحة مسلوبة والغزو كثيراً، والاعتداء القوي على الضعيف أمراً مألوفاً ، وكان الابن يخاف على نفسه من والده ، والوالد لا يأمن على حياته من ولده ، وكان الانسان يجلس في الظلام ليلا خوفاً من أن يراه عدوه اذا أنار المصباح فيطلق عليه الرصاص. وكانت الطرقات مسدودة لكثرة اللصوص وقطاع الطريق. والخلاصة كانت الاهالي بأشد حالات الضيق من هذه الاحوال التي تسلب الراحة ففرج الله عنهم بقدوم السيد الادريسي الى العسير حيث بدأ بنصح وارشاد القبائل وشرع في نشر مبادئه وتعاليمه الدينية والمدنية بينهم ، فاستمالهم اليه وامتلك قلوبهم وجمع حوله منهم قوة ثم أخذ بتطبيق أحكام الشريعة عليهم بدون محاباة ولا مراعاة فأعدم المئين من الرجال الذين ارتكبوا جريمة القتل ، وقطع أيد كثيرة إقامة لحد السرقة ، فاستتب الامن ، وبطل الغزو ، وزال الشقاق ، وحل محله الوفاق بين القبائل ووقف القوي عند حده ، وامتد رواق العدل والمساواة في تلك الاصقاع ، فارتاحت الاهالي وأمنت على أرواحها وأموالها ، وصاروا كلما ذكروا عذاب الماضي وقاسوه بنعيم الحاضر يتضاعف حبهم للسيد الادريسي وتزداد طاعتهم له وانقيادهم لاوامره وتقوى الروابط بينه وبينهم .

أعدم السيد الادريسي عددا كبيراً من كبار القوم الذين ارتكبوا جريمة قتل الابرياء الضعفاء قصاصاً ولم يلتفت الى علو كعبهم ، ورفعة منزلتهم بين قومهم ، ولا الى شرفهم وعظمتهم وفتوتهم ، فلم يغضب لهذا الامر انسان لانه عدل وحق .

قاعدة السيد الادريسي في الحكم والادارة العدل وهو عنده فوق كل شيء وهذا مما جعل الرأي العام في جهات جزيرة العرب عامة وفي جهات العسير منها خاصة يميل اليه ويحب خطته ويطري مبادئه ويثني على منهجه القويم

***

السيد الادريسي لم يفاجئ الحكومة العثمانية بالعدوان ولم يعلن عليها الحرب في حين من الاحيان ، بل كان الامر بالعكس . فان الباب العالي كان يصغي لا كاذيب ولاة اليمن وقوادها الجهلة المغرورين الذين كانوا يوسوسون له ويدسون الدسائس ضد السيد الادريسي فأمر (أي الباب العالي) بتجييش الجيوش وتسيير الحملات على السيد فيضطر هذا الى الدفاع فالهجوم فسحق القوات فحصار المدن والثغور فالاستيلاء عليها

في واقعة واحدة من الوقائع العديدة العظيمة التي حصلت بين رجال السيد وبين الجيش العثماني وهي (واقعة جازان) المشهورة قتل من الجنود العثمانية أكثر من أربعة آلاف عسكري ولم يعرف عدد الجرحى (١) والتجأ قائد الجيش الميرالاي محمد راغب بك الى السيد خوفاً من فتك الضباط به بسبب الخطأ الذي ارتكبه في هذه الواقعة على زعمهم . وبقي هذا القائد التركي عند السيد معززاً مكرماً مدة سنة ونصف ثم فر هارباً بدون أن يستأذن من السيد — مع ان السيد كان تاركاً له الحرية في السفر أو البقاء — على باخرة انكليزية كانت مرت بجازان

*

لما أعلنت ايطالية الحرب على الدولة العثمانية أخذت هذه في الحال ميناء (جازان) من العسكر ولم يتيسر لها لضيق الوقت ولقلة وسائط النقل أن تنقل الى الحديدة غير الجنود فقط وتركت السلاح والمؤنة والذخائر والخيام والبغال . تركت أشياء كثيرة كانت معدة لحملة عسكرية مؤلفة من خمسة وعشرين تابوراً . فاستولى السيد الادريسي على كل ماتركوه ودخل (جازان) وهي أعظم ميناء على السواحل اليمانية بعد الحديدة ولا تزال في يده كما انه استولى بعد ذلك على غيرها من الموانئ مثل ميدي وشقيق وحيل وبرك والقوز ... وفي ميدي قلعة كبيرة مهمة أخذها الادريسي بما فيها من المدافع والذخائر

ولقد تمكن السيد الادريسي منذ نشبت الحرب بين الحكومة العثمانية وايطاليا الى الآن من جلب أكثر من مئة الف بندقية وخمسين مدفعاً ونيف من درجات مختلفة أي كبيرة ومتوسطة وصغيرة ، لان الطليان كانوا أغرقوا وأسروا بواخر خفر السواحل العثمانية كلها . فخلا للسيد الجو واتهز هذه الفرصة الثمينة واستعد استعداداً عظيماً . ولديه الآن اكثر من عشرين مدفعاً من المدافع الكبيرة التي ترمي الى مسافة

(١) أخبرنا أحد الضباط الذين كانوا في اليمن ان عدد القتلى من العثمانيين في جازان كان أكثر من عدد جنود الادريسي الذين قتلوهم (وجيزان بالياء كما في القاموس لا بالألف)

١٢ — ١٥ كيلو متر وهي موضوعة في الحصون التي أنشأها في السواحل والثغور التي بيده . وقد تعلمت الجنود العربية استعمال المدافع واستخدامها في الحروب وبرعوا جداً في اطلاق القنابل . ولا يزال عند السيد عشرات من أفراد الجند وضباط الصف (الجاويشية) العثمانيين الذين أسروا أو التجأوا اليه في الحروب ومعظم هؤلاء من صنف المدفعية . واذا أضفنا عدد المدافع التي أخذها السيد من جيوش الدولة في الحروب والبنادق التي استولى عليها والتي كانت عند العربان من قبل الى الارقام السالفة الذكر يمكننا — بلا مبالغة — ان نقول : ان لدى رجال السيد الادريسي الآن أكثر من تسعين مدفعاً ومن مائتي (٢٠٠) الف بندقية جديدة من أحدث طرز . ومعظم البنادق الجديدة محفوظة مع ذخيرتها الكافية الوافية لوقت الحاجة في المخازن التي بنيت بصورة مخصوصة لها .

***

في قبضة السيد الادريسي الآن عدة موانئ أهمها جازان وميدي وشقيق وبركة وحبل والقوز — كما ذكرنا آنفاً . وفي كل ميناء منها جمرك له عمال موظفون من قبل السيد لاستيفاء الرسوم الجمركية من الواردات والصادرات ، والرسوم التي يتقاضاها السيد أقل من الرسوم التي كانت تأخذها الدولة والتجارة كثيرة جداً بين هذه الثغور وبين عدن ومصوع لان هذه الثغور هي موانئ قبلة الصين كلها وبعض جهات اليمن والحجاز . والسنابك (١) تروح وتغدو بينها وبين مصوع وعدن دائما . والأمن مستتب والرشوة — ولله الحمد — مفقودة ، والعدل موجود ، والظلم معدوم ، والتسهيلات متوفرة ، والناس كلها ألسن مدح وثناء على السيد الادريسي الذي أحيا هذه القطعة وأصلح شؤون أهلها

ولقد انتشر نفوذ السيد الادريسي كثيراً من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب حتى السواحل بقدر ماقل وتناقص نفوذ الامام يحيى لاسباب لاحاجة لذكرها هنا . حتى ان كثيراً من القبائل التي كان عليها معظم المعول عند الامام يحيى أتت لعند السيد الادريسي وبايعته ووضعت عنده الرهائن من أولاد زعمائها ، وفي مقدمة هذه القبائل قبيلة حاشد العظيمة التي يقودها الشيخ ناصر بحيت

على رأس كل قبيلة من قبائل السير قاض وأمير من قبل السيد الادريسي فالاول

---

(١) المنار : السنابك جمع سنبوك في لغتهم وهي نوع من السفن الشراعية . وفي سواحل الشام يطلقون لفظ السنبك (بضم السين والباء) على نوع من قوارب الصيادين الصغيرة وجمعه سنابك

ينظر في الشؤون القضائية ، والثاني ينظر في الشؤون الادارية والحربية ، ويجمع الزكاة الشرعية للسيد ، والمخابرات الرسمية جارية بكمال الدقة والاهتمام بين المركز والضواحي عند السيد الادريسي وكيل اسمه (يحيى زكريا) وهو بمثابة رئيس الحجاب أو الصدر الاعظم . وأمين بيت المال واسمه (محمد يحيى) وهو بمثابة ناظر المالية ، وكثير من القواد وكلهم يحملون السيوف دائما ولهم شارات مخصوصة كل بحسب رتبته ومقامه

***

أرسل قائمقام لحية ابراهيم بك خليل بتاريخ ١٠ مارس سنة ١٩٠٣ كتابا الى السيد الادريسي يطلب فيه الاذن بمقابلته فاذن له بمجيئه وأخبر السيد بان الوالي محمود نديم بك تلقى من الباب العالي أوامر تقضي بمخابرته بامر الصلح وحسم المشاكل وفض الاختلافات التي بينه وبين الدولة ، وسأله هل يقبل بفتح المفاوضات ؟ فقبل السيد ، فتقبل القائمقام المذكور راجعا الى لحية وأخبر بذلك الوالي برقيا ، فغادر محمود نديم بك ومعه القائد سعيد باشا صنعاء ووصلا الى لحية في ٢٧ مارس سنة ١٩١٣ وأرسلا كتابا الى السيد يطلبان فيه حضوره لتفر ميدي ليقترب منهما فارسل السيد من قبله هيئة لمخاطبتهما على رأسها أمينه محمد يحيى بخطاب يقول فيه بلغوا كل ما يريدون لهذا الامين وهو يوصله الي حتى أعلم ما يريدون . (١)

***

كانت مطالب السيد الادريسي قبل ثلاث سنوات ـ كما ذكرها هو في كتابه الى الامام بسيطة جدا . أما مطالبه اليوم فهي لا تشابه تلك المطالب بوجه من الوجوه . ففي ذلك الحين لم يكن في يد السيد الادريسي ثغر من الثغور البحرية وقد أصبح اليوم في قبضة يده عدة موانئ كما تقدم في كل واحدة منهن بضعة مدافع كبيرة تحميها . وفي ذلك الحين لم يكن قد وقع بين رجاله وبين الدولة سفك دماء ، وكان ذلك قبل حرب الطليان وما تلاها من المصائب وحرب البلقان وما أعقبها من النوائب ، وجملة القول ان كلا من حالته وحالة الدولة لم تكن مثل ما هي الآن

يحق للسيد الادريسي اليوم ان لا يرضى بما كان رضي به قبل ثلاث سنوات ، ولم ترض به الحكومة العثمانية ، لأن نفوذه خلال هذه المدة انتشر بين القبائل انتشاراً

(١) المنار : أورد الكاتب ههنا نبذة من كتاب الادريسي الى الامام استدل بها على كونه لم يكن يقصد عداوة الدولة بل خدمتها والاتفاق معها وقد سقناه لاننا كنا نشرنا ذلك الكتاب برمته في ج ٤ س ٣٠٠ م ١٦ من المنار

هائلا ، وأمواله اتعظمت ، ورجاله تسلحت ، وقبائله استعدت ، وعساكره تعلمت وتمرنت على اطلاق القنابل واستعمال المدافع الكبيرة والصغيرة . وقد علمت من رجل كبير من رجاله انه سيتمسك بالمطالب الآتية :

١ ـ الاستقلال الاداري التام تحت سيادة الدولة

٢ ـ ان لا تدخل الدولة في شؤون موظفي البلاد التي في قبضة يده والتي سيبين حدودها في المعاهدة

٣ ـ أن تكون الراية الهلال والنجم مع كلمة التوحيد (لا اله الا الله) من جهة (محمد رسول الله) من الجهة الاخرى

٤ ـ أن تكون الجنود محلية وعددها كاف لحماية البلاد في زمن السلم والحرب

٥ ـ ان تكون المبارك في الثغور راجعة الى الامارة الادريسية والمعاهدات التجارية مع الدول من حقها أيضاً

٦ ـ أن تكون الاحكام طبق الشريعة الغراء واللغة الرسمية هي اللغة العربية فقط بحيث لا تعرف لغة سواها في التعليم والقضاء والادارة وفي المخابرات الرسمية مع الاستانة

٧ ـ كل ما ينشأ من المنافع العمومية كالسكك الحديدية والتلغراف والتليفون في جهات السير يجب ان تكون لمنفعة الامارة وخاصة بها وخاضعة لها .

٨ ـ ان يصدر بهذا الاتفاق فرمان سلطاني قبل ان يجتمع مجلس المبعوثين العثماني يؤتى به من الاستانة على يد مندوب عال وعلى سفينة حربية ويقرأ باحتفال عام في المكان الذي يختاره الامير الادريسي

هذه هي أهم المواد الاساسية للعمومية التي سيطلبها السيد الادريسي . وهناك مسائل أخرى خصوصية وغرضية لا أهمية لها . ولا نظن ان الصلح يتم بين السيد الادريسي وبين الحكومة العثمانية اذا رفضت هذه مطلباً واحداً من هذه المطالب الثمانية . ومن قاس هذه المطالب بمطالب السيد الاولى يتبين له الفرق العظيم بين هذه وتلك كما يظهر له جلياً بعد نظر رجال الحكومة العثمانية وطول باعهم في السياسة والادارة والسلام عصوع ٧ مايو سنة ١٩١٣ عثماني

(المنار) لم يبق للدولة مع هذه المطالب الا اسم السيادة فلا يعقل ان تقبلها فان كانت تعجز عنه الآن فانها تفضل السكوت على اعطائه فرمانا تقيد نفسها به . والمعقول ان يكون للدولة مع الاستقلال الاداري بعض الحقوق العامة كاشتراط موافقتها على العهود التجارية مع الدول واخذ شيء مما يزيد على نفقات البلاد من دخلها

﴿ تفريط الاتحاديين بحقوق الدولة في خليج فارس والعراق ﴾

﴿ والطرف الشرقي من جزيرة العرب والتزلف بذلك الى انكلترة ﴾

ان خليج فارس وشط العرب وبلاد العراق وما يتصل بها من البلاد العربية غير للدولة العثمانية من الاستانة وما يتصل بها من البلاد الاوربية ، ولكن رجال الدولة وجمهور المتعلمين منهم في مدارس الاستانة مفتونون بعظمة القسطنطينية ومقامها التاريخي وموقعها الجغرافي ويعدون دولتهم مادامت هنالك دولة أوربية وان لم يجنوا من هذا الموقع وهذه النسبة الا الانكال والويل ، والسلاسل والاغلال ، بل فقد الاستقلال ، وهم مع كل ما أصابهم من الشقاء والخسار في فتح هذه البلاد الاوربية ثم في تركها معظمها لا يزالون يعدون بقاءهم في قطعة أرض منها على شفا من طرف عملكتهم علواً وعظمة وان كان على حد المثل السامي « علو ولو على الخازوق » ولو عمرت الدولة تلك البلاد لكان لها منها ثروة تغنيها عن أوربة وتجعلها دولة أسيوية قوية عزيزة كاليابان بل أهم من اليابان لانها القلب الذي يصل الشرق بالغرب

من المعلوم بالضرورة من السياسة الاوربية الحاضرة ان الدول الكبرى انفرقن الى فرقين عظيمين يتنازع انكلترة والمانية الاولوية في سيادة العالم . وما أظهر هذا التنافس والتنازع بينهما الا سكة حديد بغداد التي منحتها الدولة العثمانية الالمانيين فاقامت بذلك قيامة انكلترة عليهما وحملتها على موالاة الروسية ومواتاتها على ما تريد من العثمانية ومن ايران ، على معارضتها في ايصال الالمانيين سكتهم الى شط العرب أو خليج فارس ، فهذا الموقع العثماني العظيم الذي غير سياسة العالم القديم ، وجر على العثمانية والايرانية الرجز الاليم ، لا قيمة له في نفس سياسة الاستانة ، حتى كان من هوانه عليهم ما عهدت به جمعية الاتحاد والترقي الى مندوبها حقي باشا الذي أعطته اضاعة طرابلس الغرب مهارة عملية ، في اضاعة الممالك العربية ، وذلك انها أرسلته الى أوربة ليستميل اليها الدول بما يذله لهن من المصالح والحقوق في البلاد العربية العثمانية ، تحقيقا لقول من قال منهم لبعض أبناء العرب في الاستانة : انا نبيعكم ونرقي أنفسنا بتخلكم

بدأ حقي باشا الناهر بأن بذل لانكلترة منتهى ما تسمو اليه انكلترة من زمن طويل في شرقي البلاد العربية ، بذل لها حقوق الدولة في شط العرب وخليج فارس وشرقي جزيرة العرب ، وهي تعمل عملها وتمد نفوذها في غربيها وجنوبيها لتحيط بها من جميع أطرافها ، ووالله انه لو بذل لها الاستانة وما بقي للدولة في أوربة كله واستبقى

ما بذل لما كان الا باذلا الذي هو أدنى ومستبقيا الذي هو خير . وانا قبل بيان ذلك نشير بنبذة لجريدة التيمس من مكاتبها في الآستانة عن مصالح انكلترة في البلاد العربية وهو:

كلام التيمس في حقوق انكلترة في بلاد العرب

« ان اهتمام انكلترة بما يحدث في البلاد العربية هو أعظم أهمية مما يتصوره الناس فقد استولينا على عدن ولنا حق الحماية على كثير من الزعماء والقبائل في الداخلية فضلا عن سلطتنا على أمير عظيم الشأن وهو سلطان لحج ولنا فوق ذلك نفوذ الحماية على ساحل البلاد العربية الجنوبي الى عمان ومصالحنا أعظم من مصالح سوانا وهي مؤيدة بالمعاهدات . ثم ان زعماء العربان في ساحل القرصان على الخليج العجمي هم تحت حمايتنا وتوجد علاقات خاصة بيننا وبين شيخ الكويت وهو عامل عظيم في سياسة الاعراب وبذلك نجد أن نصف السواحل العربية كائن فعلا ومباشرة تحت نفوذ انكلترة ولذلك قد تكون الاحوال هناك أحيانا ذات أهمية خاصة لانكلترة

أما عدن بالذات فانها الآن في شغل داخلي شاغل فقد أدخل فيها مشروع جديد للضرائب والغاية منه سد نفقات تحسين المياه ومنع ذوي السوابق من الدخول اليها

هذا المشروع قد أحدث شيئا من الانقسام والخلاف وهناك مشروع آخر تحت النظر لانشاء ترام بخاري من تواهي الى الشيخ عثمان . أما تجارة عدن فلا تتقدم والمناظرة شديدة بينها وبين جيبوتي والحديدة ولا يتيسر لعدن الحصول على نصيبها من تجارة الداخلية الا اذا وجدت المواصلات بينها وبين داخلية اليمن والاحوال هناك ليست على ما يرام فالقبائل في نزاع دائم احداها مع الاخرى وجميعها مع الاتراك والقبائل الموجودة تحت حمايتنا تحارب القبائل الكائنة في آسية تحت حماية الدولة العثمانية والجيش العثماني يحارب أتباع امام صنعاء وحقيقة الامر ان الاتراك لم يستولوا فعلا على اليمن ولم يحسنوا الولاية على القسم الذي يملكونه

أما في الساحل الغربي الجنوبي فان سلطان مكلا الكائن تحت حماية انكلترة قد حارب أخيرا في بلاد حضرموت وهو يزحف على خصومه على انه لا يملك الا الف مقاتل فلا أهمية لغزواته والناس لا يعلمون شيئا عما يحدث في داخلية البلاد العربية يوميا من الغزو والحروب والخلاف الدائم مع أن البلاد العربية أنجبت فيما مضى رجلا حمل أتباعه السيف والدين فدخلوا القارات الثلاث ومع أنه لا ينتظر أن تنجب مثل هذا الرجل فيما بعد فلا يبعد أن تكون عاملا خطيرا في سياسة العالم

وتكلم المكاتب عن الخلاف القائم بين ابن سعود وابن الرشيد وختم مقالته بقوله

« لئن كان هؤلاء المتحاربون في ظاهر الامر لا يهمون انكلترة فربما استطاعوا يوما ما بطرق مختلفة أن يؤثروا في مركزنا في خليج العجم المتصل اتصالا تاماً بسلطتنا على الهند » .

هذا ما كتبته جريدة التيمس لسان حال حكومتها في إثر ما كتبته عن حقوق دولتها أو مصالحها في مصر ، فهل تجهل حكومتنا العثمانية هذا أم تعرفه وتريد أن تحقق آمال انكلترة وتقيلها ما ورطها فيه البلاد العربية في مدة أقصرها قدوة ساستها لذلك ؟ وما هو حظ الدولة من ذلك ؟

نحن نعلم كما يعلم كل واقف على السياسة وسير الامم والدول فيها ان الانكليز قد مدوا أعينهم فأصابوهم الى خليج عمان وخليج فارس وشط العرب والعراق منذ ثلاثة قرون ، ولكنهم كانوا ينظرون الى ثالث المعاهد خلسة ، ويحركون أصابعهم فيها خفية ، وما زاد اهتمامهم في الامر الا توجه نابليون بونابرت الكبير العبقرية الواسع الفكر والطامح الى سلوك طريق الاسكندر المكدوني ووصل الشرق بالغرب ، وانما هو طريق العراق وذلك الخليج ، ومنذ قضى دهاة الارض وأقطاب سياستها على نابليون ومطامعه جميعاً ملفتوا ينفذون مقاصدهم لانفسهم بالتؤدة واغتنام الفرص كعادتهم فاحتلوا مصر بعد اخراجه منها بنحو ثلاثة أرباع القرن ويظهر ان دولتنا سهلت لهم أن يتموا الامر كله في مثل هذه المدة ، كان من حسن حظهم ان سياسة عبد الحميد الخرقاء مكنت لهم في أرض مصر ثم أرادت أن توجد لهم خصما قوياً في العراق ومنفذه البحري الى الهند فاعطت امتياز سكة بغداد للالمان وأضرمت نار العداء والتنافس بينهم وبين الانكليز لمعارضة هؤلاء في مدها ومشايعة الفرنسيس لهم ويد الفريقين معظم ثروة أوربة . وكانت الدولة العثمانية ولا تزال ترى ان حياتها متعلقة بتنازع دول أوربة الكبرى على المصالح والمنافع فيها ، بل كانت محصورة في تنازع انكلترة وروسية ، فأزال هذا التنازع عبد الحميد بسوء سياسته ولكنه استبدل به التنازع بين انكلترة والمانية ، فجاء بعده الاتحاديون فكانوا شرا منه ومن قبله وبعده سياسة لانهم بما عقدوه من الاتفاق في هذه الايام بين مندوبهم حقي باشا والحكومة الانكليزية قد أزالوا هذا التنازع أيضاً فازالوا به كل عقبة تحول بين الدول وبين اقتسام بلادهم ويظن أعداء العرب منهم أنهم بذلوا أهم مواقع البلاد العربية وسلمت لهم الاناضول التركية !! ولكن هيهات هيهات ! ان عبد الحميد حفر اللغم تحت بلاد الاناضول والاتحاديون وضعوا فيه البارود وأضرموا فيه النار

وانا ننشر الآن مواد الاتفاق بين انكلترة وتركية ثم الآراء فيه وهذه ترجمته :

﴿ مواد الاتفاق بين انكلترة وتركية ﴾

« ١ » تعترف الحكومة الانكليزية بحقوق الدولة العثمانية على قضاء الكويت

« ٢ » تتنازل الدولة العلية عن ادارة شؤون هذا القضاء الداخلية الى حكومة انكلترة وتعترف بالاتفاق الذي تم مع شيخ الكويت وماله أن لانكلترة حق التصرف في مسائل الكويت الخارجية

« ٣ » تتنازل الدولة العلية عن جميع حقوقها في جزيرة قطر وتفوض الى انكلترة ادارتها وانشاء الفنارات والمحافظة على الامن في خليج البصرة

« ٤ » تكتفي انكلترة بمد سكة الحديد الى البصرة فقط وتترك الحق في مدها الى الكويت لادارة سكة حديد بغداد وانما تطلب تعيين مديرين من الانكليز في إدارة الشركة المذكورة

« ٥ » يصادق لانكلترة على امتيازاتها في نهري دجلة والفرات وعلى تأمين مناجرها في البلاد العربية (وفي رواية : ضبط الامن فيه !!)

« ٦ » تؤلف لجنة مختلطة من العثمانيين والانكليز لتسيير السفن وتطهير الانهر وانشاء الفنارات على شط العرب وتكون (الهيئتان) الفنية والتفتيشية من أعضاء هذه اللجنة من الانكليز الاختصاصيين

« ٧ » تحفظ حقوق أمير المحمرة على المحمرة

« ٨ » تسوى الحدود العثمانية الايرانية في أقرب آن

« ٩ » تتنازل الحكومة العثمانية عن حق مراقبتها على القروض المصرية

هكذا ذكرت المواد في بعض الجرائد ، وزاد بعضها حقوقا اخرى للانكليز واندمج في بعض المواد ما ذكر هنا في غيرها ، ومن الزيادة ماهو من قبيل الشرح والتفصيل كادخال جزيرة البحرين أو جميع الجزر هنالك في دائرة نفوذ الانكليز بحيث صارت جميع مغاوص اللؤلؤ في يدهم وهي التي لم تقدر الدولة ان تستفيد منها شيئا لجهل رجالها واحتقارهم للعرب واتخاذهم اعداء لهم . ومن الزيادات التي زادها بعضهم اطالة امتياز شركة بواخر لنش (او لنج) الانكليزية في شط العرب والدجلة والفرات وبيع البواخر العثمانية لها حتى لايبقى في مياه العراق للعثمانيين تجارة ولا بريد الا وهو في قبضة الانكليز ، ومنها إعطاء حق استخراج المعادن وزيت البترول في العراق الى شركة انكليزية . ومن اطلع على ما جرت عليه انكلترة حديثا من استعمال زيت

البترول في تسيير سفنها الحربية يعلم ان البترول سيرتفع ثمنه وتكون مجاوزته من أهم مجاورات الارض . وجملة القول ان في شط العرب وخليج فارس والعراق وما جاوره من بلاد العرب من ينابيع الثروة مالا يوجد مثله ولا مايقاربه في غيرها من بلاد الدولة ولا بلاد غيرها وناهيك بمكانة البلاد الجغرافية والطبيعية والحربية والتجارية خليج الكويت الفاصلة خير من خليج الآستانة فان سمي هذا قرن الذهب ولا ذهب فيه ولا فضة ، فجدير بذلك أن يسمى خليج اللؤلؤ واللؤلؤ أثمن من الذهب . وقد وجبت الدولة حقوقها العظيمة في تلك البقاع البرية البحرية النهرية للانكليز في مقابلة وعدها ايانا بالمساعدة على زيادة رسوم الجمرك وما تبعه من عقد القروض وبيع الامتيازات والاراضي في أوربة واشتراء السفن ونحو ذلك . اعطت أثمن ما عندها نقدا ورجاء ان تساعد نسيئه على شيء منهم هو مهما عظم أحقر من احقر ما بذلت ! (للكلام بقية)

باب الحوادث والآراء

﴿ جمعية بيروت الاصلاحية وقتل زكريا طباره ﴾

كان أول عمل عمله الوزارة الشورية الاتحادية في البلاد العربية عزل ادهم بك والي بيروت وجعل حازم بك مكانه وبدأ هذا عمله باقفال نادي الاصلاح وحل عقد الجمعية الاصلاحية التي تألفت وأنشئ ناديها بأذن رسمي من سلفه الوالي أدهم بك الاتحادي

ثم قتل أحد رجال جمعية بيروت الاصلاحية زكريا أفندي طباره اغتيالا وأشيع ان قتله كان بإيعاز من الوالي حازم بك فعظم الامر على الناس ، ولكن مدير الشحنة (البوليس) ومعاون المدعي العمومي (وكيل النيابة) قد نشر كل منهما في الجرائد بلاغاً رسمياً كذبا فيه ما أشيع من قتل الرجل بسبب سياسي أو إداري ، وإيعاز خفي

أما سبب الاشاعة فهو ما اشتهر من أن هذا الوالي الاتحادي الطريق قد اصطنع لنفسه وعصبة من الاشقياء الذين يعيشون في البلد فسادا بالعدوان وتهريب السلاح والدخان ، وما كان من أعضاء جمعية الاصلاح من حمل جميع أهالي بيروت على اقفال محلاتهم التجارية ومساعدتهم العمومية يوما واحداً احتجاجاً على عمله وإيذاناً له بأن الجمعية الاصلاحية تمثل وطنها حق التمثيل . وما كان من إرادته اجبار الناس على فتح